الهوى

في

السنة المطهرة

مقدم من

د/ عبد الله عبد الحميد منصور

مدرس الحديث الشريف وعلومه

كلية أصول الدين - القاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: [١]

(يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[٢]

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)[٣].

(يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)[٤].

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

لقد ذكر الله عز وجل لفظ "الهوى" فى القرآن الكريم أربع مرات.

قال الله عز وجل:

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣٩٥/٦ فى الجمعة، باب رفع الصوت فى الخطبة وما يقول فيها ح ٢٠٠٥.

(٢) سورة آل عمران (١٠٢).

(٣) سورة النساء (١).

(٤) سورة الأحزاب (٧١،٧٢).

(٥) سورة النساء (١٣٥).

وقال الله تعالى:

(يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[١].

وقال الله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)[٢].

وقال عز وجل:

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى)[٣].

وأما مشتقات الهوى فى القرآن الكريم فكثيرة، وكذلك السنة النبوية المطهرة، فقد ذكرت الهوى ومشتقاته كثيراً.

منها قول النبى صلى الله عليه وسلم:

"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه مُتَّبعاً لما جئت به"[٤].

وقول عائشة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم:

"ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك"[٥].

---

(١) سورة ص (٢٦)

(٢) سورة النجم (٤:١).

(٣) سورة النازعات (٤٠).

(٤) ذكره السيوطى فى جامعه الكبير والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢١٧/١، ح ١٠٨٤ وعزاه للخطيب عن ابن عمرو وأبى نصر السجزى فى الإبانة وقال: حسن غريب.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤١/١٨ فى التفسير، باب قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن ... الآية) ح ٤٧٨٨.

معنى الهوى فى اللغة:

قال ابن منظور رحمه الله تعالى:

الهوى – مقصور – هوى النفس وإذا أضفته إليك قلت: هواى.

وقيل: الهوى: العشق يكون فى مداخل الخير والشر، والهوى: المهوى وهوى النفس: إرادتها، وجمعه: أهواء.

وقيل الهوى: محبة الإنسان الشئ وغلبته على قلبه.

قال الله عز وجل:

(ونهى النفس عن الهوى) النازعات (٤٠).

معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصى الله عز وجل.

ثم قال: ومتى تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصواب.

والهوى أيضاً بمعنى الإرادة والميل.

قال الله تعالى:

(فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم (٣٧).

قال: إنما عداه بإلى لأن فيه معنى تميل، والقراءة المعروفة: (تهوى إليهم) أى ترتفع.

وقال الفراء: يقول: اجعل أفئدة من الناس تريدهم.

قال: وقرأ بعض الناس (تهوى إليهم) بمعنى تهواهم[١].

فالهوى إذاً كامن فى النفس وكل نفس لها هوى جبلت عليه ثم قوى بالمباشرة والكسب وغالبه على غير الجادة والطريق المستقيم.

لذا جاء الشرع الحنيف على ألسنة الرسل الكرام ليقوموا الناس على الصراط المستقيم.

قال الله عز وجل:

(رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما)[٢].

وغالب الأنفس أمارة بالسوء وتميل إلى البعد عن الاستقامة.

---

(١) لسان العرب مادة هوى بتصرف.

(٢) سورة النساء (١٦٥) .

قال الله تعالى:
(إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم)[١].

وكل نفس لها هوى تميل معه، بل كل طائفة لها هوى، وكل فرقة لها هوى، لذا أوجب الله تعالى على الناس اتباع الرسل الذين قومهم الله عز وجل على هوى وهو الهدى المستقيم ، ثم اختارهم وقربهم واصطفاهم وأرسلهم إلى الناس لينيروا لهم الطريق، ويوضحوا لهم معالمه وسننه حتى يصلوا بهم إلى غاية النهاية المرجوة المحمودة التي لولا أنها جمعت الأهواء كلها على هدى واحد مستقيم لما وصلت لأنه لا وصول إلى دار الأمن والأمان إلا وراء الرسل الكرام، وأن الرسل الكرام جاءوا بما يصون أهواء الأنام وينير لهم الظلام ويحي لهم رفات العظام، وأن سيد هؤلاء الرسل الكرام: هو نبينا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام قال له ربه ذو الجلال والإكرام:

(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم. صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)[٢].

فلما جعله الله تعالى هادياً إلى الصراط برأه تعالى من كل هوى بل ومن الرأى بالرغم مما هيأه الله تعالى له، ومما هيأه الله تعالى به لحمل الرسالة العظيمة من صفاء ونقاء وطهارة الظاهر والباطن إلا أن الله تعالى برأه من أن يقول شيئاً من عند نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

فقد روى أبو أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين - أو مثل أحد الحيين - ربيعة ومضر".

فقال رجل: يا رسول الله: أوما ربيعة من مضر؟

قال: "إنَّمَا أقول مَا أقوَل"[٣].

---

(١) سورة يوسف (٥٣) .
(٢) سورة الشورى (٥٢ ، ٥٣) .
(٣) أخرجه أحمد فى المسند ٢٥٧/٥، ٢٦١، ٢٦٧.

فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أقول ما أقول" فهي أشبه ما يكون فى معناها بقول الله عز وجل (إن هو إلا وحي يوحى)[١].

لكنها أظهرت أن السنة أيضاً أوحاها الله عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فبالرغم من أن هوى النبي صلى الله عليه وسلم هوى معتدل مستقيم كله خير إلا أن الله عز وجل نزه كتابه حتى من هوى سيد العالمين صلى الله عليه وسلم،وأيضاً أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة إذا ثبت صحتها لدينا ثبت أنها خالية من الهوى تماما، إنما هي بوحي أيضاً.

أى أوحاها الله عز وجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم لكن لفظها ليس معجزاً كالقرآن الكريم.

فالقرآن الكريم كله معجز فى لفظه ومعناه بل وترتيبه وحفظه وغير ذلك. أما السنة النبوية المطهرة: فإعجازها فى معناها وحفظها وإخباراتها بالغيبيات ونحو ذلك.

فإذا صحت الطرق فالإخبارات واقعة حتماً إن شاء الله تعالى كما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو المتحمل للحق النازل من الحق نزه الله تعالى القلب والقالب عن الهوى فصفى الله تعالى قلبه وعقله وفؤاده وحماه من الهوى وطهر لسانه عن الهوى، ولو هوى الحق فلا ينطق به إلا أن يؤيده الوحى الكريم.

قال الله عز وجل عنه:
(وما ينطق عن الهوى. إن هوى إلا وحى يوحى) النجم (٣ ، ٤).

فقد نزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى أول سورة النجم عن ثلاث مذمات وهى:
الضلال، والغواية، واتباع الهوى.
والضلال: هو الجهل بعينه.
والغواية: هى الحيدة عن الحق بعد معرفته.
والهوى: هو محبة الإنسان الشئ وغلبته على قلبه.

---

(١) سورة النجم (٤).

والمذمـــوم مـــنه ما كان عن غير دليل على استحقاق تلك المحبة والمنزلة.

قـــال الحافظ ابن كثير، فى تعريف الضال: هو الجاهل الذى يسلك على غير طريق بغير علم.

ثم قال عن الغاوى: هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره.

فـــنزه الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وشرعه عن مشابهة أهـــل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وهى علم الشئ وكتمانه والعمل بخلافـــه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد.

ولهذا قال تعالى:

(وما ينطق عن الهوى) .

أى ما يقول قولاً عن هوى وغرض.

(إن هو إلا وحى يوحى)

أى إنمـــا يقـــول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان[١].

وكـــل أحاديثه وسيرته صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك فما كان صلى الله عليه وسلم يتكلم إلا بوحى وما كان يتكلم بهواه مع أن هواه كان نقياً مما شيب به هوى غيره حتى أن الله تعالى كان يسارع فى هواه.

فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت:

كنـــت أغـــار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول:

أتهب المرأة نفسها؟!!

فلما أنزل الله تعالى:

(تـــرجى مـــن تشاء منهن وتؤى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك).

قلت: ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير ٢٤٦/٤.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٤١/١٨ فى التفسير باب قوله تعالى (ترجى من تشاء ...) ح ٤٧٨٨.

فســـمت أم المؤمنيـــن عائشة رضى الله عنها ميل النبى صلى الله عليه وسلم إلى بعض نسائه وحبه لهن هوى ثم أخبرت أن الله تعالى يحقق له ما يهوى ويرغب بل ويسارع فى ذلك، فقالت: أى ما أرى الله تعالى إلا محققاً لك ما ترغب وتحب.

قال الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى فى فتح الله عليه قولها: "ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك".

أى: ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير منزلاً لما تحب وتختار قوله (ترجى من تشاء منهن)، أى تؤخرهن بغير قسم، وهذا قول الجمهور.

ثم قال: وقيل المراد بقوله (ترجى من تشاء منهن وتؤى~ إليك من تشـــاء) أنـــه كان هم بطلاق بعضهن فقلن له: لا تطلقنا واقسم لنا ما شئت، فكان يقسم لبعضهن قسماً مستوياً، وهن اللائى آواهن، ويقسم للباقى ما شاء وهن اللاتى أرجأهن.

فحاصـــل مـــا نقل فى تأويل ترجى أقوال: أحدها: تطلق وتمسك، وثانيها: تعتزل من شئت بغير طلاق وتقسم لغيرها، وثالثها: تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت.

وحديث الباب يؤيد هذا والذى قبله، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة[١].

فهـــذا الخـــبر من أقوى الأدلة على أن هوى النبي صلى الله عليه وسلم كان نقياً مما اختلط به هوى الناس لأن الله تعالى لا يسارع فى هواه إلا وقد كان هواه خيراً كله.

ويدل أيضاً على أن الهوى هو الميل للشئ والحب له والرغبة فيه.

ومما يدل على ذلك أيضاً:

مـــا رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فيما يحكى عن عائشة رضى الله عنها قال:

"كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً سهلاً إذا هويت الشئ تابعها عليه ..." الحديث"[٢].

---

(١) فتح البارى ١٤٢/١٤١/١٨.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣٩٤/٨ فى الحج، باب بيان وجوه الإحرام .. إلخ، ح ٢٩٣١.

هـذا وجـب علـيه السكوت فلا يتكلم إلا بما وضح خيره بالأدلة الشـرعية من الكتاب والسنة النبوية، فإذا تكلم وجانبه الصواب وجب عليه التوبة والأوبة إلى الحق والاعتذار والاستغفار.

قال الله تعالى:

(وإنى لغفار لمن تاب وءامن وعمل صالحاً ثم اهتدى)[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه ..."[٢].

أمـا الأنبـياء عليهم السلام فقد عصمهم الله تعالى من الهوى غير المحمـود وعصم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً من أن ينطق ولو مازحاً بما فى هواه تنزيهاً لجنابه عن أى نقص فى رتبة نبوته الخاتمة التامة.

فقال الله تعالى له: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.) سورة النجم (٤:١).

أى كـل ما يأتيكم منه أى من ناحيته من الوحى والسنة ما هو من عنده إن هو إلا كلام وتعاليم جاءه بها الوحى الكريم من عند الله العليم.

قال الإمام محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره للآية الكريمة: يقول تعـالى ذكـره: ومـا ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه (إن هو إلا وحى يوحى) يقول: ما هذا القرآن إلا وحى من الله يوحيه إليه[٣].

ثـم قال: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله (ومـا ينطق عن الهوى) أى ما ينطق عن هواه (إن هو إلا وحى يوحى) قـال: يوحـى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وحتى فى كلامه صلى الله عليه وسلم الذى هو كلامه دون القرآن الكـريم الموحى من عند رَبِّ العالمين كان لا يتكلم بهواه ولا بالباطل إنما هـو وحـى أيضاً ولكن معناه من عند الله عز وجل ولفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة طه (٨٢).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٨٢/١٨ فى التفسير، ح ٤٧٥٠.

(٣) أخرجه ابن جرير فى تفسيره م٥٠٤/١١، ح ٣٢٤٢٠.

ومـمـا يـدل على ذلك ما رواه أبو أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقول: "ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنـبى مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر، فقال رجل يا رسول الله، أوما ربيعة من مضر؟! فقال: "إنما أقول مَا أقوَلُ"[١].

وأعجـب مـن ذلك!! أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينطق عن الهـوى ولا يقـول إلا حقاً حتى فى الغضب!! حتى فى الرضا!! حتى فى المداعـبة!! حـتى فى المزاح!! صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

والدليل على ذلك:

ما رواه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قالت لى قريش: تكتـب عـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن قريشاً يقول: تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، قال: فأومئ لى[٢] شفتيه فقال:

"والذى نفسى بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق فاكتب"[٣].

وعـن أبـى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إني لا أقول إلا حقاً".

قـال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله فقال: "إنى لا أقول إلا حقاً"[٤].

فالمعـنى: عـمـم النبي صلى الله عليه وسلم الخبر أولاً وأخراً فلما تعجـب أصـحابه مـن التعمـيم الأول فسألوه عن المداعبة بأنها كما هو معـروف عـندهم فيها الحق وغالبها باطل لأنها مزاح كما هو فى عرف الـناس إلـى الآن فكـيف تقـول يا رسول الله أن كلامك حق وفيه أحياناً

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٢٥٧/٥.

(٢) هذا فى الكتاب والظاهر (أومأ إلى شفتيه) ليستقيم المعنى.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٨٦/١٠٥/١ ح ٣٥٧ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٣٤٠/٢ وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ١٧٢٦.

هـذا وجـب علـيه السكوت فلا يتكلم إلا بما وضح خيره بالأدلة الشـرعية من الكتاب والسنة النبوية، فإذا تكلم وجانبه الصواب وجب عليه التوبة والأوبة إلى الحق والاعتذار والاستغفار.

قال الله تعالى:

(وإنى لغفار لمن تاب وءامن وعمل صالحاً ثم اهتدى)[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه ..."[٢].

أمـا الأنبـياء عليهم السلام فقد عصمهم الله تعالى من الهوى غير المحمـود وعصم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً من أن ينطق ولو مازحاً بما فى هواه تنزيهاً لجنابه عن أى نقص فى رتبة نبوته الخاتمة التامة.

فقال الله تعالى له: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.) سورة النجم (١:٤).

أى كـل ما يأتيكم منه أى من ناحيته من الوحى والسنة ما هو من عنده إن هو إلا كلام وتعاليم جاءه بها الوحى الكريم من عند الله العليم.

قال الإمام محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره للآية الكريمة: يقول تعـالى ذكـره: ومـا ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه (إن هو إلا وحى يوحى) يقول: ما هذا القرآن إلا وحى من الله يوحيه إليه[٣].

ثـم قال: حدثنا بشر قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله (ومـا ينطق عن الهوى) أى ما ينطق عن هواه (إن هو إلا وحى يوحى) قـال: يوحـى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وحتى فى كلامه صلى الله عليه وسلم الذى هو كلامه دون القرآن الكـريم الموحى من عند رَبَّ العالمين كان لا يتكلم بهواه ولا بالباطل إنما هـو وحـى أيضاً ولكن معناه من عند الله عز وجل ولفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة طه (٨٢).
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٨٢/١٨ فى التفسير، ح ٤٧٥٠.
(٣) أخرجه ابن جرير فى تفسيره م٥٠٤/١١، ح ٣٢٤٢٠.

ومـمـا يـدل على ذلك ما رواه أبو أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقول: "ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنـبى مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر، فقال رجل يا رسول الله، أوما ربيعة من مضر؟! فقال: "إنما أقول مَا أقولُ"[١].

وأعجـب مـن ذلك!! أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينطق عن الهـوى ولا يقـول إلا حقاً حتى فى الغضب!! حتى فى الرضا!! حتى فى المداعـبة!! حـتى فى المزاح!! صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

والدليل على ذلك:

ما رواه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قالت لى قريش: تكتـب عـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن قريشاً يقول: تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، قال: فأومئ لى[٢] شفتيه فقال:

"والذى نفسى بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق فاكتب"[٣].

وعـن أبـى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إني لا أقول إلا حقاً".

قـال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله فقال: "إنى لا أقول إلا حقاً"[٤].

فالمعـنى: عمـم النبي صلى الله عليه وسلم الخبر أولاً وأخراً فلما تعجـب أصـحابه مـن التعمـيم الأول فسألوه عن المداعبة بأنها كما هو معـروف عـندهم فيها الحق وغالبها باطل لأنها مزاح كما هو فى عرف الـناس إلـى الآن فكـيف تقـول يا رسول الله أن كلامك حق وفيه أحياناً

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٢٥٧/٥.
(٢) هذا فى الكتاب والظاهر (أوماً إلى شفتيه) ليستقيم المعنى.
(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٨٦/١٠٥/١ ح ٣٥٧ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.
(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٣٤٠/٢ وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ١٧٢٦.

مـــن جنابك صلى الله عليك فأخبرهم ما معناه: أن هذه المداعبة داخلة فى عموم الحق الذي لا آتيكم إلا به حتى ولو فى المداعبة ولو فى الغضب بل ولو فى المنام ففي الحديث "رؤيا الأنبياء وحي"[١].

الهوى المحمود:

مما تقدم يتضح أن الهوى المحمود نادر جداً وهو غالباً فضلاً عن أن يكـــون دائماً لا يكون إلا هوى الأنبياء على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام والصالحين من عباد الله، لكن عامة الهوى للناس مذموم.

قـــال تعـــالى: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم) يوسف (٧٥).

وقلـــيل مـــن الناس من يكون هواه محموداً وهو المستثنى فى قوله تعـــالى (إلا ما رحم ربى ... الآية) وهوى النبى صلى الله عليه وسلم كله محمود ومحبوب لله عز وجل.

قـــال الإمام البخارى فى صحيحه: حدثنا زكريا بن يحى حدثنا أبو أســـامة، قال هشام: حدثنا عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أغـــار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول: أتهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك)، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك[٢].

فلولا أن هوى النبى صلى الله عليه وسلم كله محمود لما سارع الله أحكم الحاكمين فى تلبية رغبته صلى الله عليه وسلم وهذا معنى المسارعة فى هواه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/١٢، ح ١٢٣٠٢، وقال الهيثمى فى الزوائد ١٧٦/٧ رواه الطبرانى عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم وهو ضعيف وبقية رجاله رجال الصحيح، ح ١١٧٣٧ عن ابن عباس.

(٢) سبق ذكره وتخريجه.

قـــال الحـــافظ شـــيخ الإسلام: قول: "ما أرى ربك إلا يسارع فى هـــواك" أى مـــا أرى الله إلا موجـــداً لمـــا تريد بلا تأخير منزلاً لما تحب وتختار[١].

لأنـــه صلى الله عليه وسلم لا يهوى إلا الحق ولا ينطق إلا بالحق، ومـــع ذلـــك فلا ينطق عن هواه فكيف بغيره عليه الصلاة والسلام، كيف يُجَـــوز لنفســـه أو يُجَـــوِّز له غيره أن يعمل أو يقول بهواه وغالب الهوى ضلال.

ومما أثر عنه صلى الله عليه وسلم من الكثير الذى يدل على أنه لا يـــنطق عن الهوى ولا يقول إلا الحق ولو كان مجيباً لسؤال عارض لسائل يســـأل ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قائلاً: شهدنا مع رسول الله صلى الله علـــيه وسلم حنيناً فقال لرجل ممن يُدْعى بالإسلام "هذا من أهل النار"!! فلمـــا حضـــرنا القـــتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة . فقيل: يا رســـول الله! الـــرجل الذى قلت له آنفا: "إنه من أهل النار" فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات!! فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "إلى النار".

فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: فإنه لم يمـــت ، ولكـــن به جراحاً شديداً! فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقـــتل نفسه، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "الله أكبر، أشهد أنى عبد الله ورسوله".

ثم أمر بلالاً فنادى فى الناس:

"إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"[٢].

---

(١) فتح البارى ١٤١/١٨.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى الجهاد، باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ح ٢٨٩٧، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٤٠٤/٢، ٣٠٤ فى الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ح ٣٠١ واللفظ لمسلم.

من أحب النبى صلى الله عليه وسلم ثم الصالحين كان يوم القيامة مع من أحب

من هوى شيئاً فى الدنيا كان معه يوم القيامة إن خيراً فخير والعكس بالعكس، والعاقل يختار لنفسه صاحباً ورفيقاً يسعد بجواره (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) لذلك لما قال النبى صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب"(١)، فرح بها الصحابة رضوان الله عليهم حتى أثر عن أنس رضى الله عنه أنه كان يقول: فأنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم ... الحديث"(٢).

فلما علموا اختاروا لأنفسهم فروضوا القلوب على حب ما يحبه علام الغيوب لينالوا بذلك الوعد المكتوب من مجاورة المحبوب فى دار الخلود.

فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين قال: "من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة"(٣).

فأنعم بعمل يؤدى بالعبد إلى تلك الدرجات العظيمات الراقيات مع سيد البريات عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلامات.

ومما ييسر على القلوب امتثال الحب المحمود هو تذكر واستشعار سبب هذا الحب فنحب الله تعالى لأنه هو الله الخالق الذي له مطلق الكمال والجمال ومسدى النعم الظاهرة والباطنة الدائمة بالليل والنهار؛ ونحب النبي صلى الله عليه وسلم أولاً لحب الله تعالى له ثانياً لما جاءنا من ناحيته من الخير العظيم والفضل العميم بكمال الدين وتمام النعمة نعمة الإسلام

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٦٦/٢٢ فى الأدب، ح ٦١٦٨، باب علامة الحب فى الله تعالى.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨٩/١٤ فى المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح ٣٦٨٨.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٢٣٧/١٠ فى المناقب، ح ٣٨١٦ وقال هذا حديث حسن غريب. كما أخرجه أحمد فى المسند ٧٧/١ عن نصر بن على الأزدى ... به بلفظه.

وما فيه من هدى ونور وخير لا يمكن إحصاؤه، ثم نحب الخير وأهله لحب الله تعالى لهم.

قال صلى الله عليه وسلم:

"أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى"(١).

واعلم بأن هذا الحب هو الهوى وأن الهوى هو الحب كما ذكرته آنفاً والدليل على ذلك:

ما رواه زرّ بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال رضى الله عنه أسأله عن المسح على الخفين.

فقال: ما جاء بك يا زرّ؟

فقلت: ابتغاء العلم!!

فقال: إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب!

فقلت: إنه قد حك فى صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول وكنت امرءاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فجئت أسألك: هل سمعته يذكر فى ذلك شيئاً؟

قال: نعم، كان يأمرنا إذا كنا سفراً - أو مسافرين - أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، لكن من غائط، وبول، ونوم.

فقلت: هل سمعته يذكر فى الهوى شيئاً؟

قال: نعم، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر، فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوت له جهورى: يا محمد!! فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من صوته "هاؤم"

فقلت له: ويحك اغضض من صوتك فإنك عند النبى صلى الله عليه وسلم، وقد نهيت عن هذا، فقال: والله لا أغضض، قال الأعرابى: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم.

قال النبى صلى الله عليه وسلم:

"المرء مع من أحب يوم القيامة".

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٢٩٢/١٠ فى المناقب، ح ٣٨٧٨ وقال حسن غريب.

فما زال يحدثنا حتى ذكر باباً من المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب فى عرضه أربعين أو سبعين عاماً - قال سفيان - قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه"[١].

فالحديث يبين أن الهوى هو الحب حيث أن زرًا قال لصفوان هل سمعته أى النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فى الهوى شيئاً؟ فلم يقل له صفوان: وما تقصد بالهوى؟ إنما قال له نعم!! ثم ذكر القصة وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب يوم القيامة" وهى إجابة لقول الأعرابى: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم أى يهوى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويريد اللحاق بالركب!.

فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه يوم القيامة سيلحق بمن يهواه ويحبه ولما فهم الصحب الكرام تلك القضية العظيمة اتخذوها عُدَّةً لهم ليوم الوعيد حتى كان بعضهم ليس له عمل يرجوه إلا أنه يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فعن أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة؟
قال: "وماذا أعددت لها"؟
قال: لا شئ إلا أنى أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
فقال: "أنت مع من أحببت".
قال أنس: فما فرحنا بشئ فرحنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم: "أنت مع من أحببت".
قال أنس: فأنا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[٢].

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه، ح ٣٥٢٩ وقال حديث حسن صحيح.
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨٩/١٤ فى المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح ٣٦٨٨ واللفظ له، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢٦٩/٢٢ فى الأدب، باب علامة الحب فى الله تعالى، ح ٦١٧١.

الهوى المحمود شئ من نعيم الآخرة:

فقد جعل الله تعالى من نعيم الجنة لقاء الأحبة لأنه يهون وحشة الغربة ويخفف الشدة ويلطف الأحوال ويبث الأنس خاصة مع أهوال يوم القيامة وكربالطامة.

قال ابن رجب الحنبلى[١]: قال الحسن: لما كرهت الأنبياء الموت هون الله ذلك عليهم بلقاء الله وبكل ما أحبوا من تحفة أو كرامة حتى إن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له.
وفى المسند، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
"إنه ليهون على أنى رأيت بياض كف عائشة فى الجنة"[٢].
قال النووى: فيه فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية[٣].

وقول أنس رضى الله عنه: فأنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم" أى لما سمع أنس هذه البشارة وهى قول النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى، "أنت مع من أحببت" علم أن الأمل قريب المنال لأنهم قد امتلأت قلوبهم بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يفرحوا بشئ كما فرحوا بتلك البشرى حيث أنهم سيكونون على قرب من أعظم مخلوق ومحبوب فى جنة الله تعالى - اللهم لا تحرمنا من ذلك الفضل فنحن محبون ضعفاء عن اللحوق بهم فأدخلنا فيمن أدرك بالحب يارب العرش العظيم - وليس معنى هذا التساوى فى المراتب، هيهات هيهات ولكنها المشاهدة والمجالسة واللقاء والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) لطائف المعارف، ص ١١١.
(٢) أخرجه أحمد فى المسند ١٣٨/٦ من طريق اسحاق بن طلحة عن عائشة مرفوعاً.
(٣) شرح مسلم بشرح النووى ٤٠٢/١٦.

فهـذا هو الهوى المحمود الذى يؤدى بصاحبه إلى مقام محمود فى دار الخلود إن شاء الله تعالى.

وأما الهوى المذموم:

وهو الهوى إذا أطلق لأنه غالب هوى الناس إلا ما رحم ربى.
وهـو الهـوى الـذى يجعل صاحبه لا يرى ولا يسمع الحق بل ولا يقول الحق، إنما يرى فقط ويسمع ويقول ما يهواه ويميل إليه ويحبه.
فـإذا كثر الهوى وهو حب ما تميل إليه النفس والانقياد له واتباعه سـواء كـان حقاً أو باطلاً أدى إلى انتكاس القلب – والعياذ بالله تعالى – وانقلابه فيصبح مسوداً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.
فعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال:
كنا عند عمر – رضى الله عنه فقال:
أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟
فقال قوم: نحن سمعناه!!
فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره؟
قالوا: أجـــل.
قـال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التى تموج موج البحر؟
قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا!!
قال: أنت؟!! لله أبوك.
قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"تعـرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فـيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبيـن: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.
قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر.
قال عمر: أكسراً لا أبالك. فلو أنه فتح لعله كان يعاد.

قلـت: لا بل يكسر!! وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط"[١].

قال أبوخالد[٢]: فقلت لسعد[٣]:
يا أبا مالك! ما أسود مُرْبادّاً؟
قال: شدة البياض فى سواد.
قلت: فما الكوز مجخياً.
قال: منكوساً[٤].

فالهوى يهوى بالقلب وينكسه – والعياذ بالله تعالى – فإن زاد قتله حتى يجعله كالكوز المقلوب لا يقبل خيراً إلا ما أشرب من هواه.
بل ومن كثرة اتباعه الهوى وتشربه به وقبوله يسود قلبه تماماً فلا يصلح لخير، لذلك أخذ الله تعالى على العلماء والحكام بأن لا يتبعوا الهوى لأن الـرجل إذا هوى فهو يهوى بنفسه أما الحكام والعلماء فإذا هَوَوْا هَوَوْا بأمة.
قال الحسن رحمه الله تعالى:
أخـذ الله علـى الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياتى[٥]، ثمناً قليلاً[٦].
ثم قرأ:
(يـا داود إنـا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهـوى فيضـلك عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣٥٢/٢ فى الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً...، ح ٣٦٧.
(٢) أبو خالد: هو سليمان بن حيان أحد رواه الحديث وهو شيخ شيخ مسلم.
(٣) سعد: هو ابن طارق شيخ سليمان بن حيان المذكور.
(٤) نفس مرجع الحديث السابق.
(٥) هكذا قال: "بآياتى" والأصل "بآياته" لكى يستقيم المعنى.
(٦) ذكره البخارى فى صحيحه ١٦٩/٢٧ فى الأحكام، باب متى يستوجب الرجل القضاء.

وقــرأ: (إنــا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أســلموا للذيــن هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا[١]، من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة (٤٤).

وقــرأ: (وداود وســليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القــوم وكــنا لحكمهــم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا ءاتينا حكماً وعلماً) الأنبياء (٧٨).

فحمد سليمان ولم يلم داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا، فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

قلــت: فــأراد من آية (يا داود) قوله (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وأراد من آية المائدة بقية ما ذكر وأطلق على هذه المناهى أمراً إشارة إلى أن النهى عن الشيء أمر بضده.

ففــى الــنهى عن الهوى أمر بالحكم بالحق، وفى النهى عن خشية الــناس أمر بخشية الله ومن لازم خشية الله الحكم بالحق ، وفى النهى عن بــيع آياته الأمر باتباع ما دلت عليه ، وإنما وصف الثمن بالقلة إشارة إلى أنــه وصــف لازم له بالنســبة للمعوض ، فإنه أغلى من جميع ما حوته الدنيا[٣].

فمــا أعظم خطر الهوى خاصة لمن كان لغيره قدوة وسبيلاً، فإذا ذل القدوة مع هواه فالمقتدى أعظم ذللاً لأنه يقتدى بمولاه.

والهوى يذل صاحبه ويجعله عبداً لما يهواه.

قال الله عز وجل:

(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً) الفرقان (٤٣).

---

(١) فسر (استحفظوا) باستودعوا، قال ابن حجر فى الفتح ١٧٠/٢٧: وهو تفسير أبى عبيدة.

(٢) صحيح البخارى ١٧١/٢٧، كتاب الأحكام، باب متى يستوجب الرجل القضاء.

(٣) فتح البارى ١٧٠/٢٧ شرح كتاب الأحكام.

وقال الأصمعى[١]: سمعت رجلاً يقول:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه فإذا هويت فقد لقيت هواناً

قال ابن الجوزى: وقد سئل ابن المقفع عن الهوى فقال:

هوان سرقت نونه فنظمه شاعر فقال:

نون الهوان من الهوى مسروقة فإذا هويت فقد لقيت هواناً[٢]

فــالهوى عظيم خطره نادر نفعه فضلاً عن أن يكون معدوماً نفعه وهو من أقــوى أسلحة الشيطان ضد عباد الرحمن يضلهم بها وباعد به بينهم وبين رضا ذى الجلال والإكرام.

قال الأوزاعى: قال إبليس لأوليائه: من أى شئ تأتون بنى آدم؟ فقالوا: من كل شئ!!

قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟

قالوا: هيهات، ذاك شئ قرن بالتوحيد.

قال: لأبثن فيهم شيئاً لا يستغفرون الله منه!!

قال: فبث فيهم الأهواء.

نعــم ذاك شئ لا يستغفر منه صاحبه لأنه يدعى أنه محق مصيب علــى بصيرة وهو على ضلالة!! لو راجع نفسه وحاسبها وسألها من أين لــك هذا الرأى، من كتاب الله تعالى أم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

لقالت فى وقت اعتراف لا لا، وأنت تعرف من أين لى؟

فإذا سألها قولى لى بصراحة من أين لك؟ لقالت صادقة:

أنت تعرف أنه من الهوى!! من شهوتك!! من رغبتك، مما تميل إليه!!

تركــت كل دليل سواه لأنك تحبه وتهواه، ودللت عليه من عندك من بنات أفكــارك من عقلك وتركت من أجله السنة والكتاب فأخاف عليك أن يهوى بك إلى ...

فعد إلى الله بالتوبة النصوح عسى الله أن يقبلك

أما سمعت القائل يقول:

إن الهوى لهو الهوان بعينه وصريع كل هوى صريع هوان

---

(١) أخرجه ابن الجوزى بسنده عن الأصمعى فى ذم الهوى، ص ١٣، رقم ٩.

(٢) المرجع السابق.

قال الشعبى رحمه الله تعالى:

إنما سمى الهوى لأنه يهوى بصاحبه[١].

نعم إنه يهوى بصاحبه إلى الحضيض فإذا استمر كانت القاضية تخف الموازين فيلقى ما قال ربنا تعالى:

(وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية) القارعة.

قال صلى الله عليه وسلم:

"المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف".

وفى كل خير إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل: لو أنى فعلت وكان كذا كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان[٢].

أما العاجز فهو صاحب الهوى لأنه يستسلم له ولا يقاومه فيصبح قائده والعياذ بالله.

قال صلى الله عليه وسلم:

"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله"[٣].

فالهوى ولو كانت كلمة واحدة فلها تبعات إلى يوم لقاء رب البريات.

سمعت الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله تعالى يقول:

آفة الآراء الهوى .

وفى الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم:

"الجنة اقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك"[٤].

قال الحافظ رحمه الله تعالى[٥]:

قال ابن الجوزى: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية.

---

(١) اخرجه الدارمى بسنده إلى الشعبى ١/٢٠، ح ٣٩٥.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٦/٤٣١، ٤٣٢ فى القدر، باب فى الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، ح ٦٧١٧.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك: ١/٥٧/١٢٥ فى الإيمان، ح ١٩١ وقال صحيح على شرط البخارى ولم يوافقه الذهبى.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤/١١٣ فى الرقاق، ح ٦٤٨٨.

(٥) فتح البارى ٢٤/١١٣.

نعم الهوى طريقة لاستمرار المعاصى، والمعاصى حصب جهنم أعاذنا الله منهم جميعاً .

ومن أشر أضرار الهوى الكلام فى الصالحين والعلماء أهل الحق بالهوى فتلك جريمتان: الأولى الغيبة للمسلم. والثانية: الخوض فى أعراض الصالحين.

قال الإمام الذهبى رحمه الله تعالى فى ترجمة الإمام الشافعى رحمه الله تعالى:

وقد أفرد الدارقطنى كتاب من له رواية عن الشافعى فى جزأين، وصنف الكبار فى مناقب هذا الإمام قديماً وحديثاً، ونال بعض الناس منه غضاً، فما زاده إلا رفعة وجلالاً، ولاح للمنصفين أن كلام اقرانه فيه بهوى، وقل من بَرَّز فى الإمامة، ورد على من خالفه إلا عودى، نعوذ بالله من الهوى[١]، وهو كلام جيد عظيم رحم الله الإمامين.

وهى سنة سنية سنها للصالحين رب البرية فقل فعلاً من بَرَّز فى الخير ونبغ فيه إلا عودى وهو سلم للوصول إلى السير وراء الرسول صلى الله عليه وسلم فأهل الحق لابد أن يصبروا على هوى أهل الهوى.

قال ورقة بن نوفل رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم:

هذا الناموس الذى نَزّل على موسى، ياليتنى فيه جذعاً ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أومخرجى هم ؟ قال : نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ٠٠ الحديث" أخرجه البخارى فى صحيحه ١ / ٦٠ ، ٦١ فى بدء الوحى.

فلذلك خاف نبينا صلى الله عليه وسلم على أمته من الشهوات والهوى والفتن فعن أبى برزة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى"[٢].

ومما خشى النبى صلى الله عليه وسلم علينا منه من اتباع الهوى أن يؤدى بنا إلى مشابهة أهل الكتاب فى اتباعهم الهوى وإعراضهم عن

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٩،٨.

(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/١٨٨/٤٤٦ وعزاه لأحمد والبزار والطبرانى فى الثلاثة وقال رجاله رجال الصحيح.

الهـدى سواء منهم من كان فى أيام انبيائهم عليهم السلام أم من أدرك هذه الأمة المباركة ولم يؤمن بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك حذر وأنذر من اتباع الهوى فقال صلى الله عليه وسلم:

"إن أهل الكتاب تفرقوا فى دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هـذه الأمـة علـى ثلاث وسبعين كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة، ويخـرج فـى أمـتى أقـوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصـاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئـن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغير ذلك أخرى أن لا تقوموا به"[١].

وأيضـاً أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قد خافوا الأهواء على الـناس وحذروهـم منها وذلك مما تعلموه من النبى صلى الله عليه وسلم فـأخذوا يحـذرون مـن الأهواء ويحذرون الأهواء وبينوا أنها عدو للحق والدين والخير.

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢١٨/١٢٨/١، ح ٤٤٣ فى العلم وقال: هذا أسانيد تقوم بالحجة.

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه:

إنمـا أخـاف عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمـل ينسـى الآخـرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل[١].

والهـوى المذمـوم إذا تمـادى به صاحبه وجاراه وطاوعه أهلكه فيصبح إلهه من دون الله والعياذ بالله!! فالهوى وثنية عبد من دون الله عز وجل.

وهكـذا كان الأمر قبل الإسلام!! بل وفى الجاهلية الحديثة بصور أخرى مختلفة .

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

كان الرجل من العرب يعبد الحجر، فإذا وجد أحسن منه أخذه والقى الآخر فأنزل الله عز وجل:

(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ...) الجاثية (٢٣)[٢].

فالهوى هلكة من كل وجوهه .

فعن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"إنكـم فـى زمـان علماؤه كثير خطباؤه قليل، من ترك فيه عشير ما يعلم هـوى – أو قـال – هلـك وسـيأتى على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعشير ما يعمل نجَـا"[٣].

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ١٥٥/٨ فى الزهد، رقم ٩، ح ١ كلام على بن أبى طالب.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤٥٢/٤٩١/٢ فى التفسير، تفسير حـم الجاثية.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ١٥٥/٥.

معالجـــة الهـــوى

ومن رحمة الله عز وجل أن جعل لكل داء دواء.

قـال عليه الصلاة والسلام: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"(١).

واللفظ عام فهو إن شاء الله تعالى يشمل الأمراض البدنية والمعنوية.

فمـرض الهـوى يحتاج لدواء والدواء يعلمه الله عز وجل ولكننا نتكلم فيما نظنه ونراه علاجاً والشفاء بيد الله عز وجل وحده.

وهـناك أمـور نـراها علاجاً مستنبطه من الكتاب الكريم والسنة المطهرة بإذن الله تعالى منها على سبيل المثال لا الحصر:

علاج الهـــوى بالدعـــاء

أولاً: الدعـــاء:

فالدعاء من أعظم أسباب الشفـــاء.

عـن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" هل كنت تدعو بشئ أو تسأله إياه".

قـال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة، فعجله لى فى الدنيا،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"سـبحان الله لا تطيقه – أو لا تستطيعه – أفلا قلت: اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"

قال: فدعا الله فشفاه"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه ١٤/ ٤١٢ فى السلام باب لكل لكل داء دواء، ح ٥٧٠٥.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٦/١٧ فى الدعاء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة، ح ٦٧٧٦.

فالشـاهد من الحديث قوله: "فدعا الله فشفاه" نعم فالدعاء كله خير مـنه أنـه قضـاء للحاجـات وأعظم ما فيه أنه يحبه رب البريات ويحب صـاحبه إذا أخلص فيه لأنه أصل العبادة بل اصل كلمة الصلاة التى هى أعظم أعمدة الإسلام أصلها لغوياً الدعاء!!.

وعـن أبـى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليس شئ أكرم على الله من الدعاء"(١).

بـل قد قال النعمان بن بشير رضى الله عنه: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول:

"إن الدعاء هو العبادة" ثم قرأ:

(وقال ربكم ادعونى أستجب لكم)(٢).

والاسـتغفار دعـاء وأن الشيطان يكره الاستغفار، والشئ الذى لا يستغفر العبد ربه منه ظاناً أنه ليس بسيئة وهو من أعظم السيئات وأكبرها الهوى.

قال الأوزاعـــى:

قال إبليس لأوليائه: من أى شئ تأتون ابن آدم؟

فقالوا: من كل شئ!! قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟

فقالوا: هيهات، ذاك شئ قرن بالتوحيد!!

قال: لأبثن فيهم شيئاً لا يستغفرون الله منه!

قال: فبث فيهم الأهواء !!(٣).

بـل كـان النـبى صـلى الله عليه وسلم نفسه يدعو الله تعالى بالنجاة من منكرات الأهواء بعينها وسماها فى دعائه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤٩٠/١ فى الدعاء، ح ١٨٠١ وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبى.

(٢) اخرجه الحاكم فى المستدرك ٦٦٧/٤٩١/١ فى الدعاء، ح ١٨٠٢ وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه ١٠٣/١، ح ٣٠٨، وابو يعلى فى مسند أبى بكر، ح ١٣٦، وشعب الإيمان، ح ٩٤٥٤.

فعن زياد بن علاقة عن عمه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول:
"اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء"[١].

فالنبى صلى الله عليه وسلم نفسه وهو المعصوم كان يدعو الله عز وجل أن يجنبه منكرات الأهواء وهو يعلم انه معصوم صلى الله عليه وسلم ولكن ليعلمنا صلى الله عليه وسلم وهو من باب قوله تعالى: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) الزمر (٦٥) .

فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يشرك مرة من الدهر ولن يشرك وهو أبعد خلق الله تعالى عن الشرك ولكنه تحذير للأمة عظيم شديد أن من أشرك حبط عمله.

كذلك هنا يدعو النبى صلى الله عليه وسلم بأن يجنبه الله منكرات الأهواء وهو أبعد الناس منها ولكن ليعلم أمته كيف يكون التحصن والعلاج والدعاء والله أعلم.

ثانياً: علاج الهوى بمخالفته

مع أن الهوى نابع من النفس إلا أنه ينبغى للعبد أن يجعله خصماً له يعاديه ويخالفه وينهى نفسه بنفسه عن مخالفته،فهذا من أعظم أسباب الخير والنجاة والفلاح والجنة إن شاء الله عز وجل.
قال الله عز وجل:
(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى)
وقال ابن كثير[٢]: أى خاف القيام بين يدى الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها إلى طاعة مولاها (فإن الجنة هى المأوى)، أى منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء، وقال الله عز وجل:

(يأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٧١٤/٥٣٢/١ فى الدعاء والتكبير، ح ١٩٤٩
وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.
(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: ٤٦٩/٤ سورة النازعات.

تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تولوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) النساء (١٣٥) .
قال القرطبى فى تفسيره: قوله تعالى:
(فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا)
نهى، فإن اتباع الهوى مرد، أى مهلك، قال الله تعالى:
(فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ص (٢٦).
فاتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور فى الحكم إلى غير ذلك.
وقال الشعبى: اخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء:
ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمناً قليلا[١].
ولو علم السالك إلى الله عز وجل أن الهوى مرد ومهلك ولو كان لذيذاً فى أول المذاق لكن له غصة ومرارة فى نهايته ليس له ترياق[٢]، يكف عنه.
فالعاقل من نظر إلى العواقب بعين بصيرته حتى يحسن السير من البدايات فيحمد عواقبه عند النهايات وعند الصباح يحمد القوم السرى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:
إنه لا أنفع له – أى للعبد – من امتثال الأمر وإن شق عليه فى الابتداء لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شئ اضر عليه من ارتكاب النهى وإن هويته نفسه ومالت إليه وإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب وخاصة العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير ويتجنب[٣] اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل، فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غايتها، والعاقل الكيس دائماً ينظر إلى الغايات من وراء ستور مبادئها ... إلى أن قال:

(١) تفسير القرطبى رحمه الله تعالى: ١٦٥/٦ سورة النساء (١٣٥).
(٢) قال ابن منظور وفى الحديث: "إن فى عجوة العالية ترياقا" الترياق ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين، انظر لسان العرب، ص ٤٣٠
مادة ترق بالمثناتتين الفوقيتين.
(٣) فى الأصل "واجتناب".

ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوى يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها فى طلب الخير الدائم واللذة الدائمة[١].

وينبغى لطالب العلم بل وللعالم نفسه أن يتخلى عن الهوى فى أخذه بالأدلة تحملاً وأداءاً حتى يظهر الحق على لسانه وبنانه فيحفظ الدين من أي شائبة.

وأعظم تحذير للعلماء والمتعلمين من اتباع الهوى قول ربنا سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم:
(واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه ءايتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ... الاية) الأعراف (١٧٥، ١٧٦).

قال الحافظ ابن كثير: (فاتبعه الشيطان أى استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه ولهذا قال (فكان من الغاوين) أى من الهالكين الحائرين البائرين[٢].

وقال الحافظ أبو جعفر ابن جرير الطبرى[٣]: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (واتل) يا محمد على قومك (نبأ الذى ءاتيناه ءايتنا) يعنى خبره وقصته، وكانت آيات الله للذى أتاه الله إياها فيما يقال: اسم الله الأعظم، وقيل النبوة.
ثم ذكر بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال: هو بلعم بن باعر.
ثم قال ابن جرير: وأما قوله (فانسلخ منها) فإنه يعنى: خرج من الآيات التى كان الله آتاه إياها فتبرأ منها.
ولما انسلخ عن هذا العلم وذاك الخير العظيم خسر الدنيا وخسر الآخرة فضل وهوى فى الهاوية لأنه اتبع الهوى حيث (أخلد إلى الأرض واتبع هواه) ونسأل الله العافية.

---

(١) الفوائد فبن القيم، ص ١٣٦، ١٣٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٦٥.
(٣) تفسير جامع البيان فى تأويل القرآن للطبرى، م٦/١١٨.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان فى بنى إسرائيل بلعام بن باعر، أوتى كتاباً، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها لم ينتفع بما جاء به الكتاب[١].
وقال السدى: (ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) أما (أخلد إلى الأرض) فاتبع الدنيا وركن إليها[٢].

فوجب على من أبصر طريق الهداية والنور طريق الصلاح والفلاح أن يشغل نفسه بشكر تلك النعمة العظيمة وأن يستخدمها فى طاعة الله عز وجل ورفعة دينه سبحانه وإظهار الحق وإزهاق الباطل، وأن يصبر على ذلك حتى يلقى الله سبحانه.
وإذا وضح له الحق بأدلته قبله وشرح له صدره واغلق عليه فؤاده، ودَوَّنَهُ ببنانه وأطلق به لسانه خدمة لدين الله تعالى الإسلام الذى ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء.
كما وجب على العالم والمتعلم أن يروض نفسه على قبول الرأى الذى تصدر بالدليل الصحيح من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وليعلم أن ذلك السبيل يحتاج لصبر عظيم فضلاً عن عون الله الكريم والسعيد من وفقه الله تعالى، واعلم أن النفس قد تعدل عن الصواب الواضح بأدلته الشرعية من الكتاب الكريم والسنة النبوية وأقوال الأئمة المجتهدين من علماء الأمة المحمدية لأسباب منها:

أولاً: الهـــوى

فقد تهوى النفس رأياً لا دليل عليه ولا صواب معه لكنها تميل إليه وهو أخطر الأمراض، فلابد من التحصن ضد الهوى المردى فإنه سبع إن لم يحذره صاحبه أكله وأهلكه فى الدارين والعياذ بالله تعالى.
فمن اجتهد وخالف هواه كانت الجنة مأواه، خاصة فى أمور الشرع الحنيف لأنه إذا ذل العالم ذل وراءه جم غفير من العامة وغيرهم.
وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره لسورة الأعراف، مجلد ٦، ص ١٢٦، ح ١٥٤٤٣.
(٢) المرجع السابق، ح ١٥٤٤٤.

" مـن تواضـع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله فى عليين ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله فى أسفل السافلين"[١].

ثانياً: الجهـــل

فقد يجهل الطالب أمراً شرعياً بأدلته وهو لا يدرى أنه يجهله حيث انـه قد يكون قلد منه أحد العلماء الكبار وظن أنه أخذه عن علم وقد يكون هـذا العـالم أيضاً أخذه عن أحد العلماء الكبار ظناً منه أنه بدليل فيتوارث أمـر غـير شـرعى وأخطر ما فيه أن الناس تظنه شرعاً لأنه يفعله كبار العلماء.

فلابـد للطالب أن يعرف دليل الشيخ ثم يقلده فيكون من هنا متبعاً للنبى صلى الله عليه وسلم.

وهذه المسالة فصلها الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى كتابه العظـيم جـامع بـيان العلم وفضله فبين أن من اتبع شيخه وقلده من غير معرفة دليله فهذا تقليد مذموم، ومن قلد شيخه بعد معرفة دليله فذاك الاتباع المحمود أو هذا معنى كلامه .

قـال الإمـام الجهبذ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى رحمه الله تعالى فى سير أعلام النبلاء ٩٠/٨ كلاماً نفيساً غالياً فقال: وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم بتقليده كالنبى مع أمته، لا تحل مخالفته.

فقال الذهبى معلقاً:

قلـت: قوله: لا تحـل مخالفته: مجرد دعوى، واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر، حجته فى تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدلـيل فـيما تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه عمل به من أى مذهب كان، ومن تتبع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين فقد رق دينه.

كمـا قـال الأوزاعى أو غيره: من أخذ بقول المكيين فى المتعة، والكوفيـين فى النبيذ، والمدنيين فى الغناء، والشاميين فى عصمة الخلفاء، فقـد جمـع الشر، وكذا من أخذ فى البيوع الربوية بمن يتحيل عليها، وفى

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٧٦/٣ من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً.

الطـلاق ونكـاح التحليل بمن توسع فيه، وشبه ذلك فقد تعرض للإنحلال، فنسـأل الله العافية والتوفيق ولكن – ما زال الكلام للحافظ الذهبى – شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفاً فى الفقه، فإذا حفظه بحثه، وطالع الشروح، فـإن كان ذكياً فقيه النفس، ورأى حُجج الأئمة، فليراقب الله، وليحتط لدينه فـإن خـير الديـن الورع، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه والمعصـوم مـن عصم الله أهـ كلام الذهبى[١]، رحمه الله تعالى واكتفى بهذا اختصاراً.

ثالثاً: علاج الهـــوى بالموعظـــة والإعراض

قال الله تعالى:

(أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) النساء (٦٣) .

وقال الله تعالى:

(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً) النساء (٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨)

وقال الله تعالى:

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل.

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعظ الناس يحذرهم من الهوى والكذب .

كما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال:

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى خطبته:

أفلح منكم من حفظ من الهوى والغضب والطمع ووفق إلى الصدق فى الحديث فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجر ثم ذكر ما بعده[٢].

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى ٩٠/٨.

(٢) أخرجه البيهقى فى سننه ٣٠٥/٣ فى كتاب الجمعة، باب كيف يستحب أن تكون الخطبة، ح ٥٨٠٥.

فمن أنجح طرق علاج أصحاب الهوى الموعظة الحسنة فكم من تائه عرف الطريق بها وكم من غارق نجا بها وكم من حائر اهتدى بها وكم من .. وكم ..

ومن المواعظ التى ينبغى ان تقال وتعرف وينصح بها: أن السعى كله الناشئ من العبد سواء عبادات بدنية أو مالية أو قلبية أو قولية أو غيرها لا تقبل إلا إذا قصد بها رضا الله عز وجل وكان هواه مع الإسلام وتعاليمه .

فعن أبى صادق عن سلمان قال:

لو وضع رجل رأسه على الحجر الأسود فصام النهار وقام الليل، لبعثه الله يوم القيامة مع هواه[١].

والمعنى لو اجتهد عابد أعظم الاجتهاد فى طاعة رب العباد فى أعظم الأماكن فى الأرض وهو الحجر الأسود فى كعبة الله عز وجل فى حرم الله تعالى بالمسجد الحرام ببلد الله الأمين مكة المكرمة فى أطول وقت من عمره وصام النهار كله وكل يوم وقام الليل كله وكل ليلة و.. و...

فكل ذلك لا يصل به يوم القيامة إلى درجة إلا إذا كان هواه وكانت نيته وهمه لرضا مولاه الله عز وجل.

ولو كانت النية لشئ آخر لكان يوم القيامة مع الشئ الآخر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب يوم القيامة"[٢].

فإن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هواه مع سنته وشرعه كان يوم القيامة فى زمرة أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن أحب أعداء الدين من الكفرة والمشركين والمنافقين ونحوهم كان معهم أيضاً يوم القيامة وفى زمرتهم وكربهم.

قال الله عز وجل:

(وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون. فى جنات النعيم) الواقعة (٧ : ١٢) .

---

(١) اخرجه الدارمى فى سننه ١٠٤/١ باب فى اجتناب الأهواء، ح ٣١١.
(٢) تقدم تخريجه وهو صحيح.

وقال على رضى الله عنه أيضا:

"خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب"[١].

أما من لم تنفع معهم المواعظ فعلاجهم الهجر بل هو التصرف الشرعى عند تفشى الهوى بين الناس.

فعن أبى أمية الشعبانى قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له: كيف تصنع فى هذه الاية؟ قال: أية آية؟

قلت: قوله تعالى:

(يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة (١٠٥) .

قال: أما والله لقد سالت عنها خبيراً:

سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى مُتَّبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم".

قال عبد الله بن المبارك: وزادنى غير عتبة:

قيل: يا رسول الله: أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟

قال: " بل أجر خمسين رجلاً منكم"[٢].

فإذا نظرنا إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً .. إلخ" فذاك هو الداء !!.

أما الدواء فهو قول النبى العظيم صلى الله عليه وسلم:

"فعليك بخاصة نفسك ودع العوام".

ولذلك كان كثير من السلف يعتزلون أهل الأهواء حتى ولو فى الكلام لا يقبلون منهم كلمة ولا يجيبونهم بكلمة بل وأحياناً يقومون من مجالسهم.

وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم عند تفشى الأهواء بين الناس باعتزال الفرق كلها .

---

(١) أخرجه الدارمى فى المرجع السابق، ح ٣١٢.
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه فى القراءات، ٤٢٣/٨:٤٢٦ وقال: هذا حديث حسن غريب.

فعن ابى إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – يقول:
كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركنى!!
فقلت: يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟
قال: "نعـــم".
قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟
قال: "نعم وفيه دخن".
قلت: وما دخنه؟!!
قال: "قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر".
قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟
قال: "نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها".
قلت: يا رسول الله: صفهم لنا؛
قال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا".
قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟
قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم".
قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟
قـال: "فاعـتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"[1].

قـال الحافظ ابن حجر: قال – أى الإمام الطبرى – وفى الحديث: أن مـتى لـم يكن للناس إمام افترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحد فى الفرقة، ويعـتزل الجمـيع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع فى الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء فى سائر الأحاديث وبه يجمع ما ظاهره الاختلاف منها، قال ابن أبى جمرة: وفيه سعة صدر النبى صلى الله عليه وسلم ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٧/٤٢،٤١ فى الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ح ٧٠٨٤.

قـال ابـن حجر: وقال قوم: المراد بالجماعة: الصحابة دون من بعدهـم، وقـال قوم: المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم فى أمر الدين[1].
فهذا من أنجح ما عولج بها الهوى هو اعتزال أهله وقد ورد ذلك عن كثير من السلف.

ومما ذكر فى العلاج بالإعراض:
مـا رواه أسـماء بن عبيد قال: دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا:
يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا !!
قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا!! لتقومن عنى أو لأقومن.
قـال: فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما كان عليك أن يقرآ عليك آية من كتاب الله تعالى؟
قال: إنى خشيت أن يقرآ علىّ آية فيحرفانها فيقر ذلك فى قلبى[2].

وعن سلام بن مطيع: أن رجلاً من أهل الأهواء قال لأيوب:
يا أبا بكر أسالك عن كلمة؟
قـال: فولى وهو يشير بإصبعه ولا نصف كلمة، واشار لنا سعيد بخنصره اليمنى[3].
وعـن ابن سيرين والحسن قالا: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم[4].

(١) فتح البارى ٢٧/٤٣،٤٢.
(٢) أخرجه الدارمى فى سننه ١/١٢١،١٢٠، باب اجتناب الأهواء والبدع والخصومة، ح ٣٩٧.
(٣) أخرجه الدارمى فى سننه ١/١٢١،باب اجتناب الأهواء .. إلخ، ح ٣٩٨.
(٤) أخرجه الدارمى فى سننه ١/١٢١، باب اجتناب الأهواء .. إلخ، ح ٤٠١.

رابعاً: علاج الهـــوى بالعلم الشرعى النافع

فـإن العلم أعظم اسباب الهداية والهدى والنور وإن المرء عدو ما يجهله، وإن السعادة مبدؤها علم وإن الشقاوة مبدؤها جهل.

قال الله عز وجل فى كتابه الكريم:

(فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكرى فإن لـه معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لما حشرتنى أعمى وقـد كنـت بصـيراً. قـال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) طه (١٢٣ : ١٢٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" فإنما شفاء العىّ السؤال" (١).

قـال صـاحب عـون المعبود: العىّ بكسر العين وتشديد الياء هو التحـير فـى الكـلام وعدم الضبط كذا فى الصحاح، وفى النهاية ولسان العرب: العىّ بكسر العين: الجهل والمعنى: أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم(٢).

فـإذا وافق العلم قلباً واعياً واستقر فيه، صعب على الهوى مجاورته حيث يضيق المكان على عدوين فيبقى الأقوى وهو العلم ويخرج الهوى بإذن الله تعالى.

وهـذا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما صاحب النبى صلى الله عليه وسلم كان أحياناً يرد خبر بعض أصحابه فإذا ثبت له أن القـائل هو سيد العالمين رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثل وخضع بل ويندم على ما فات من التقصير فى الأخذ بهذا الخبر قبل العلم به.

قـال الـبخارى فى صحيحه: حدثنا أبو النعمان: حدثنا جرير بن حازم قال: سمعت نافعاً يقول:

حُدّثَ ابن عمر: أن أبا هريرة رضى الله عنه يقول:

"مَنْ تَبِعَ جنازةً فله قيراط".

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ٥٣٣/١، ٥٣٤ فى الطهارة، ح ٣٣٢، باب المجدور يتيمم.

(٢) عون المعبود ٥٣٤/١.

فقال: أكثر علينا أبو هريرة.

فصدقت – يعنى عائشة – أبا هريرة وقالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله

فقال ابن عمر رضى الله عنهما:

"لقد فرطنا فى قراريط كثيرة"(١).

قال البخارى: فرطت: ضيعت من أمر الله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وفى بعض النسخ: (فرطت مـن أمـر الله) أى ضيعت وهو أشبه وهذه عادة المصنف إذا أراد تفسير كلمـة غريـبة مـن الحديث ووافقته كلمة من القرآن فسر الكلمة التى من القرآن.

قـال ابـن حجر: وفى هذه القصة دلالة على تميز أبى هريرة فى الحفـظ وأن إنكار العلماء بعضهم على بعض قديم وفيه استغراب العالم ما لـم يصل إلى علمه وعدم مبالاة الحافظ بإنكار من لم يحفظ، وفيه ما كان الصـحابة عليه من التثبت فى الحديث النبوى والتحرز فيه والتنقيب عليه، وفـيه دلالـة على فضيلة ابن عمر من حرصه على العلم وتأسفه على ما فاته من عمل صالح(٢).

وهـذا أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أيضاً قد خفى عليه أمر مـن أوامـر النبى صلى الله عليه وسلم وطلب البينة والتأكد منها فلما ثبت عنده قبلها واعتذر بأنه شغله عنها الصفق بالأسواق.

فعن أبى سعيد الخدرى قال: كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال:

استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت.

قال: ما منعك؟!!

قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فليرجع"

فقال: والله لتقيمن عليه بينة.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٣٥/٦ فى الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، ح ١٣٢٣، ١٣٢٤.

(٢) فتح البارى ٢٣٨/٦.

أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم؟
فقال ابى بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم.
فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك[١].

فهذا الذى وصل بالقوم إلى ما وصلوا إليه من الدرجات العالية فى الدنيا والآخرة بتواضعهم لأوامر الله تعالى وتوجيهات نبيه صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الرحمن بن مهدى قال: رأيت سفيان الثورى فى المنام فقلت: ما فعل الله بك؟
قال: لم يكن إلا أن وضعت فى اللحد حتى وقفت بين يدى الله تعالى فحاسبنى حساباً يسيراً، ثم أمر بى إلى الجنة.
فبينا أنا أدور بين أشجارها وأنهارها ولا أسمع حساً ولا حركة!!
إذ سمعت قائلاً يقول: سفيان بن سعيد؟!!
فقلت:سفيان بن سعيد.
قال: تحفظ أنك آثرت الله على هواك يوماً؟
قلت: إى والله!!
فأخذتنى صوانى النثار من جميع الجنة[٢].

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٤/٢٣ فى الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ح ٥٢٤٤.
(٢) أخرجه ابو الفرج ابن الجوزى فى كتابه ذم الهوى بسنده من طريق الخطيب البغدادى، ص ٣١، ح ٧٢.

وختامـــــاً:

فهوى الأنبياء كله خير وأعظمهم نبينا صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى كملهم وفضل عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[١].

وهوى نبينا صلى الله عليه وسلم أخير من هواهم ومع ذلك فقد عصم الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم من أن ينطق بالهوى ولو فى غضبه صلى الله عليه وسلم ولو فى رضاه صلى الله عليه وسلم ولو فى مزاحه صلى الله عليه وسلم ولو فى منامه صلى الله عليه وسلم، كما تقدم بيان ذلك كله بأدلته بفضل الله تعالى وعونه.

أما من دون ذلك فوجب عليه أن يطرح الهوى جانباً ويعاديه وينظر ما يطلبه منه الله تعالى ويرتضيه فيروض نفسه عليه حتى يحبه ويشتهيه، ويديم ذلك فى كل ما يعرض له مما يظهره ويخفيه حتى يبارك الله تعالى له فى كل ما يعمله ويرتضيه.

فإن وجد العبد نفسه تابى عليه فى بعض مسالكه وتعصيه فليذكرها بأنها مسئولة عما ظهر لها وجه الحق فيه، هل هى تركته لعدم وضوح الدليل فيه، أم رغبة عنه إلى ما تشتهيه النفس وترتضيه، ثم يذكرها بأنه لو عاش على ما تشتهيه النفس وترتضيه سيفوته الذكر الحسن والثناء الجميل بين أهل الحق وبين ذويه فضلاً عن الندم على التقصير فيما مضى إذا مر به العمر وطعن فيه ووجد أن كثيراً من الحق قد ضاع مسبباً عن فتاويه بل وكثير من المال والصحة قد رحل بسبب ترخصه فيما لا وجه للإباحة فيه.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (وضرب الله مثلا للذين ءامنوا ..)، ح ٣٤١١، وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ١٩٤/١٥ فى فضائل خديجة أم المؤمنين، ح ٦٢٢٢.

أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم؟
فقال ابى بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم.
فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك[١].

فهذا الذى وصل بالقوم إلى ما وصلوا إليه من الدرجات العالية فى الدنيا والآخرة بتواضعهم لأوامر الله تعالى وتوجيهات نبيه صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الرحمن بن مهدى قال: رأيت سفيان الثورى فى المنام فقلت: ما فعل الله بك؟
قال: لم يكن إلا أن وضعت فى اللحد حتى وقفت بين يدى الله تعالى فحاسبنى حساباً يسيراً، ثم أمر بى إلى الجنة.
فبينا أنا أدور بين أشجارها وأنهارها ولا أسمع حساً ولا حركة!!
إذ سمعت قائلاً يقول: سفيان بن سعيد؟!!
فقلت:سفيان بن سعيد.
قال: تحفظ أنك آثرت الله على هواك يوماً؟
قلت: إى والله!!
فأخذتنى صوانى النثار من جميع الجنة[٢].

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٤/٢٣ فى الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ح ٥٢٤٤.
(٢) أخرجه ابو الفرج ابن الجوزى فى كتابه ذم الهوى بسنده من طريق الخطيب البغدادى، ص ٣١، ح ٧٢.

وختامـــــاً:

فهوى الأنبياء كله خير وأعظمهم نبينا صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى كملهم كلهم وفضل عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[١].

وهوى نبينا صلى الله عليه وسلم أخير من هواهم ومع ذلك فقد عصم الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم من أن ينطق بالهوى ولو فى غضبه صلى الله عليه وسلم ولو فى رضاه صلى الله عليه وسلم ولو فى مزاحه صلى الله عليه وسلم ولو فى منامه صلى الله عليه وسلم، كما تقدم بيان ذلك كله بأدلته بفضل الله تعالى وعونه.

أما من دون ذلك فوجب عليه أن يطرح الهوى جانباً ويعاديه وينظر ما يطلبه منه الله تعالى ويرتضيه فيروض نفسه عليه حتى يحبه ويشتهيه، ويديم ذلك فى كل ما يعرض له مما يظهره ويخفيه حتى يبارك الله تعالى له فى كل ما يعمله ويرتضيه.

فإن وجد العبد نفسه تابى عليه فى بعض مسالكه وتعصيه فليذكرها بأنها مسئولة عما ظهر لها وجه الحق فيه، هل هى تركته لعدم وضوح الدليل فيه، أم رغبة عنه إلى ما تشتهيه النفس وترتضيه، ثم يذكرها بأنه لو عاش على ما تشتهيه النفس وترتضيه سيفوته الذكر الحسن والثناء الجميل بين أهل الحق وبين ذويه فضلاً عن الندم على التقصير فيما مضى إذا مر به العمر وطعن فيه ووجد أن كثيراً من الحق قد ضاع مسبباً عن فتاويه بل وكثير من المال والصحة قد رحل بسبب ترخصه فيما لا وجه للإباحة فيه.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (وضرب الله مثلا للذين ءامنوا ..)، ح ٣٤١١، وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ١٩٤/١٥ فى فضائل خديجة أم المؤمنين، ح ٦٢٢٢.

فيا حسرة على من اتبع هواه وخالف الصواب وطريق الرشاد.
كيف يكون حاله يوم المعاد؟!!
كيف يلقى الله تعالى وقد قل الزاد؟!!
كيف يكون الجواب عنده شدة الحساب؟!!
كيف الملجأ وأين الفرار وقد ضاعت بهواه حقوق العباد، سينسيه ما يراه من حاله ما قد تنعم فيه من هواه فى سالف أمره.

وقد قال القائـــل:

تالله لو عاش الفتى من دهره ... ألفاً من الأعوام مالك أمره
متلذذاً فيها بكل نفيسة ... متنعماً فيها بنُعمى عصره
لا يعتريه السقيم فيها مرة ... كلا ولا ترد الهموم بباله
ما كان ذلك كله فى أن يفى ... بمبيت أول ليلة فى قبره

فمـــن اتبع هواه، وخالف أوامر مولاه ، ورفض النصيحة وعصاه، ولـــم يأبه بما صح من سنة نبى الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم بل ولا بمـــا ورد فـــى كـــتاب ربه جل فى علاه بل ولم يسمع نصيحة ناصح جاء بـــالحق لأنـــه لا يهـــواه ، ثم تتبع زلات العلماء وجمعها وتشدق بها، فهذا مصـــيـــره أن يكون من الذين أخبر الله تعالى عنهم فى قوله تعالى (يقول يـــا ليتنى قدمت لحياتى . فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الفجر (٢٤:٢٦).

وأمـــا من غلب هواه وأطاع الله فى علاه وعمل بما قال به نبى الله ومصـــطفاه صـــلى الله علـــيه وسلم وقهر نفسه وأجبرها على ما يحبه الله ويرضـــاه وصـــبرها علـــى تحقيق التقوى فهذا يستحق أن تكون الجنة له مأواه.

قال الله عز وجل:
(وأمـــا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) النازعات (٤٠،٤١).

هذا (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) هود (٨٨)
والله أعلـــم
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه تسليماً كثيراً

و (الحمد لله رب العالمين) الفاتحة (٢)

وكتبـــه

د/عبد الله بن عبد الحميد بن أحمد بن منصور
كلية أصول الدين بالقاهرة
قسم الحديث الشريف وعلومه

إعادة المراجعة والكتابة

السويس – بور توفيق – ليلة السبت
٢٧ ذو القعدة الحرام ١٤٢٢هـ
٢٠٠٢/٢/١٠